

الآن.. أين هو فيما نشهده من تغيرات وتبدلات اجتماعية وسياسية؟

جوان جان: «إذا أردنا لمسرحنا اليوم أن يكون مؤثراً وفعالاً فعلياً أن نتقل به إلى كل مكان يمكن الوصول إليه»

هنا أبو اسعد

هو أبو الفنون، وأقدمها، وأكثر وجوه الحضارة شهرة، جذوره ضاربة في القدم، هو الفن القادر على تحريك المعتقدات الراسخة في حياة المجتمعات ومشاعر الإنسان، يساعد في إيقاظ الوعي عند الناس لرفض أي واقع لا يعجبهم وتبديله بالأفضل حسب الحقوق المشروعة للإنسان.

هو أكثر الفنون ارتباطاً بالنسيج الاجتماعي، والأكثر تقريباً مما يجري في المجتمع من تبدلات وتغيرات على مختلف المستويات، يعبر عن رؤية الإنسان وهوموه وتطلعاته، لأنه انعكاس للحياة الاجتماعية وأحد مكونات الحياة الأساسية، إنه المسرح.

١- فهل تخف شعلته في العالم مع تقدم التكنولوجيا؟

٢- وما دور المسرح فيما يشهده مجتمعنا من تغيرات وتبدلات؟

٣- وأي دور له فيما نعيشه من تفكك للقيم والمبادئ التي تربينا عليها وعشناها منذ الأزل؟

عن ذلك تحدثنا الكاتب والمخرج المسرحي والموسيقي محمد بري جوان جان.

يرى العواني: عبر آلاف السنين لم ينفك المسرح عن مجارات التطورات التكنولوجية معبراً بذلك عن حيويته التي هي حيوية الإنسان على اعتباره منتجاً مبدعاً، ومستهلكاً مبدعاً أيضاً. وهذا يعني أنه ابن الإنسان وليس ابن الآلهة، بل هو ابن الحاجة الثقافية والعرفية، وابن الحاجة الاجتماعية الإنسانية التاريخية بكل تجلياتها. غير أن هذا الكلام لا يكتفي للأسف على مسرحنا العربي الذي لا يزال يدور في بلب خضية تقليدية بكل ما تحويه من إضاءة وديكورات وأغراض الخ، بل ومن حركة مسرحية يقوم بها الممثلون بما في ذلك الذي صرنا نسميه سينوغرافياً.

وأضاف: إن مسرح العالم- باستثناء مسارح العالم الثالث- تتوجه شعلاتها ليس بسبب مواكبة المسرح نفسه لتطور التكنولوجيا، بل لأنه ظاهرة اجتماعية ثقافية، والظاهرة الثقافية سلوك معرفي وعلمي وروحي الخ لأن الثقافة طعام وشراب لا بد منها.

حين يكون المسرح هكذا فإن تطوره على جميع الأصعدة يعني تطور مجتمعه المنتج إبداعياً له. ذلك لأنه لا يجوز أن يتطور المجتمع مثل هذه التطورات العلمية والمعرفية البهورة ويبقى مسرحه متخلفاً في شكله ومضمونه وضروريته!

بل إن على المسرح أن يكون كذلك أكثر من السينما باعتبارها صناعة، وصناعة ثقافية، تشبه صناعة الصواريخ والفضاءات. لأن هذه الصناعة تغير الآن وهنا، وفي كل آن ومكان من أنماط التفكير من خلال الصخب السريع للأفلام الموجهة، ومن ثم فإن صناعة السينما الإيديولوجية تعمل على هدف تغيير ثقافات الأمم والشعوب وتغيير أنماط حياتها.

ولأن المسرح ليس سينما على اعتباره لقاء مباشراً مع مستهلكيه فلا بد له من مواكبة التكنولوجيا وتطوير أدواته الفعالة.

وعن دور المسرح فيما يشهده مجتمعنا من تغيرات وتبدلات قال: ليس للمسرح دور آني، سريع، وكأنه ساحر



جوان جان



محمد بري العواني: «ظاهرة اجتماعية ثقافية وسلوك معرفي وعلمي وروحي»

عبري. لأنه ليس صاروخاً يهدم بثانية ما هو عصي على الهدم. بل إن هذا ليس من مهامه الراهنة الآتية المرهبة. مضيافاً: إن دور المسرح دور إستراتيجي بعيد المدى، إنه تاريخ يراكم الخبرات والمعارف والثقافة عبر ثقافة إثارة الأسئلة ومحاولة البحث عن حلول إستراتيجية. وأكد أنه يجب علينا أن نستبعد من حواراتنا السؤال الدائم عن دور المسرح في التغيير والتحويل والتعديل، ومن ثم يجب أن نكف عن طرح الأسئلة حول دور المسرح وما يشهده مجتمعنا من تغيرات وتحولات.

ما يجري واقعياً في سورية والوطن العربي ليس نكتة ساذجة، بل هو تحول واقعي خطير وعميق موغل في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والمعرفي. وهذا يعني أن المشكلة ليست في وجود الإرهاب بكل سمياته وتجلياته، بل إن المشكلة تكمن في الجذور التاريخية للفكر الإرهابي المنتج للإرهاب من أجل تدمير ثقافات الأمم والشعوب العريقة ليتم القضاء على الإنسان الفارع من أي ثقافة. وتكمن المشكلة أيضاً في فهم طبيعة وظيفة القوى التي تنتج هذا الإرهاب العالمي المبني على إلغاء الآخر وتكفيره وقتله. ولسوف نرى أن أميركا وإسرائيل تشتركان في صفة المنتج الرئيس للإرهاب كونهما تستمدان هذا الحق من حق إلهي.

لذلك فالمسرح فن إستراتيجي لا تظهر فاعليته وآثاره إلا بعد زمن. لكنه يظل على الدوام مفجراً للأسئلة، ومحرصاً على اكتشاف جواهر المشكلات لا أعراضها. أما عن دور الفن المسرحي فيما نعيشه من تفكك للقيم



محمد بري العواني

تطور التقنيات المستخدمة في العروض المسرحية، وهنا ينبغي على المسرحيين أن يكونوا أكثر وعياً وألا يسبحوا لهذه التقنيات بالاستحواذ على جعل العرض المسرحي، بل تكون هذه التقنيات في خدمة الرؤية الفكرية والفنية للنص والإخراج ومن ثم خدمة الممثل في أداء دوره بشكل انسيابي ومن دون وجود عناصر منافسة تسرق منه الانتباه وتجعله عنصراً ثانوياً في المشهدية المسرحية.

أما عن دور المسرح فيما يشهده مجتمعنا من تغيرات وتبدلات فقال: لا أجد له دوراً اليوم إلا في أضيق الحدود، ولكي نحدد دوره الحقيقي لا بد أولاً من أن نحيط بأعداد المشاهدين الذين يحضرون الأعمال المسرحية وبنوعية هؤلاء المشاهدين، إذا أردنا لمسرحنا اليوم أن يكون مؤثراً وفعالاً علينا أن نتقل به إلى كل مكان يمكن الوصول إليه لأن الجمهور المستهدف بعملية التغيير لا يوجد عادة في أماكن التجمعات السكنية الكبرى كالعوامس والمدن الرئيسية، بل في التجمعات الصغرى والثانية حيث يعيش الجهل وتزدهر الأمية.. هناك في هذه الأماكن ينبغي للمسرح أن يكون موجوداً وأن يقوم عملية نهضة اجتماعية قد تكون مطلوبة اليوم أكثر من أي يوم مضى.

وعن دور المسرح فيما نعيشه من تفكك للقيم والمبادئ التي تربينا عليها وعشناها منذ الأزل قال: لننقق أولاً على أنه ليس كل ما عشنا عليه من (قيم) و(مبادئ) هي أمور صحيحة وسليمة أخلاقياً واجتماعياً، فكثير مما تربينا عليه الأيام خطأ، بل ودوره في تقنين المجتمع بشكل بطيء ولكنه منتظم ومبرمج. المسرح اليوم يقوم بدور جمالي وتربيني في حياتنا الاجتماعية والثقافية، والسبب في ذلك أن مسرحينا ابتعدوا إلى حد ما عن الذائقة الجمالية والحاجات الفكرية لمشاهدين أتوجوا نحو أعمال مسرحية تلبى حاجات هؤلاء المسرحيين الفنية بعيداً عن المثالي بمعناه الواسع، لذلك تبدو اليوم بعيدين تماماً - كمسرحيين- عن القيام بواجبنا تجاه مجتمعنا وما يمكن أن نقوم به من دور ترميمي للنفوس والقلوب.

الجواهري ومحاربة الجحود والجاحدين

د. رحيم هادي الشمخي



لقد عالج الشاعر في قصائد عديدة ومنذ مطلع شبابه الجحود كحالة بغضاء مدانة، كما هم أصحابها من الجاحدين الباطنين منهم والظاهرين، لهذا فإن ما يعكس عند الجواهري من حالة خاصة تذهب متشابكة مع الحالة العامة بوضوح ومن دون أي غموض وما عانى منه، وكما حاول الجواهري- على ما نعرف- أن يتجاهل الجاحدين وغيرهم من أرباب الذم المشابهة، لكنه تجر في فترات معينة، حين كانوا يتمادون من دون رادع أو يكررون مواقفهم، قد يكون الجواهري يبغض أحياناً في احتساب أي انتقاد وقد لبعض شعره أو مواقفه أو رؤاه، فيعودنا إلى «شيمة» الجحود، يدفعه إلى ذلك الكبرياء والنقمة بالنفس والعتاء الفكري والوطني، فقد تشابه العام والخاص عند شاعرنا الجواهري في الموقف من الجحود والجاحدين، فراخ في فقدته لتلك الحالة يشيح بوجهه وقصيدته عن تسمية أولئك هؤلاء ويوجه سياط هضيمته بشكل غير مباشر، وبصورة عامة لأصحاب تلك المواقف ولكنه أيضاً واجه بعضهم بالدلالة، وليس بالاسم الصريح ومنهم لامعون، لم يبخسهم ذلك المعان ومنهم الأديب والكاتب «سهيل إدريس» حين كتب عنه:

وصاحب في لم أبخسه موهبة
وإن مشيت بعتاب بيتنا يرد
نقى عن الشعر أحياناً وأهله
يزجي بذاك برأعاً حيرة الحرد
كأنما هو في تصنيفهم حكم
وقوله الفصل ميثاق ومستند
وأما أراد سوى شيخ بفقره
فاقتة ترميماً وتصنيفاً وفهرساً وحفظاً

ومن المواجهات المباشرة الأخرى على صعيد ما نحن بصده نذكر هنا ما كتبه عن الأديب والكاتب (غالي شكري) الذي يبدي مشاعره للشاعر الجواهري ودأ ظاهراً في العديد من المنتديات والندوات وغيرها، في بغداد وعواصم ومدن عربية عديدة، فواجه الجواهري في «رأيه» عام ١٩٧٥ رداً على تمام بدوافع سياسية أو غيرها نشره «غالي» في الصحافة حينها فقال:

ألبيت أبرد حر جمري، وأدبل من أمر بخمر
ألبيت أمحن الرجولة؛ يوم لمحمة وعسر
ومساومين على الحروف، كأنها تترنل ذكر
مدوا لعربان الضمير، بدأ بزعمهم تعري
لم يعل تدري قدحه، وبذمه لم يبدن قذري
وإذا كان جحود الأديب والكاتب العرب أقل مرة في

التأثير على الجواهري بحسب، فقد كان ذلك مضاعفاً عندهم من أقرانهم العراقيين الجاحدين والصامتين عن ردع التجاوز والجحود، وهنا نقرا هذه الأبيات من قصيدة الجواهري بعدما لاقى المرارة من أحدهم.

المكتبة الظاهرية في دمشق ماضي حافل ومستقبل مشرق

نبيل تello



تقع المكتبة الظاهرية، واسمها الرسمي: « دار الكتب الوطنية للغة العربية السورية»، والتي تتبع مجمع اللغة العربية في دمشق القديمة قرب الجامع الأموي، قبالة المدرسة العادلية الكبرى، جانب حمام الملك الظاهر منطلقاً إلى البريد التابع لحسب العارة الدمشقي، وتتابع على ملكية الموقع الذي تشغله الدار عدة ملاك، فلقد بنى عليه أول الأمر دار الشريف أحمد بن الحسين العبققي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ، ٩٨٨ م، ثم انتقلت ملكيتها إلى أبي أيوب والد القائد صلاح الدين الأيوبي لتكون قصراً لسكانه.

بركة قان، المتوفى عام ٧٨٨ هـ، ١٣٨٠ م، ابن الملك الظاهر بيبرس حاكم البلاد المصرية (٦٢٥ - ٦٦٥ هـ، ١٢٢٨ - ١٢٧٧ م)، عمل على استكمالها بغية تحويلها إلى مدرسة للأبحاث والشوافة ودار للحديث ومدفن لوالده، حيث بنى عليه قبة كبيرة لا تزال قائمة حتى اليوم، وقد لحق الملك السعيد بآبائه بعد سنتين ودفن إلى جانبه، وبنى البناء يستعمل كما ورد أنفاطوال ستة قرون، ثم عدت الدولة العثمانية إلى إنشاء مدرسة ابتدائية فيه عُرفت باسم مدرسة الظاهر بيبرس.

وفي عام ١٢٩٦ هـ، ١٨٧٨ م عيّن السلطان العثماني «مدحت باشا» المتوفى عام ١٣٠١ هـ، ١٨٣٣ م والياً على سورية، وكان معروفاً بحبه للإصلاح وتقريبه للعلماء وتشجيعه

والمخطوطات من المكتبات الخاصة في بيوت دمشق، إلا أنهم لاقوا عنقاً من بعض أصحابها، وتعرضوا للتهديد بالقتل ولأسيما الشيخ طاهر الجزائري، إلا أن الإيمان بأهمية الهدف لم يثنه عن عمله، واستطاع مع زملائه جمع نحو ٢٥٠٠ مخطوطة تبحث في شتى العلوم والفنون، إضافة إلى الكثير من الكتب المطبوعة التي شكلت مع المخطوطات الثروة الأولى للمكتبة الظاهرية، وسامه بعض مثقفي دمشق وبعض المؤسسات الرسمية كهيئة المعارف وتزويدها بالكتب، التي حفلت في خزائن حول ضريحي الملك الظاهر وأبنه، وفتحت المكتبة أبوابها رسمياً أمام القراء عام ١٢٩٨ هـ، ١٨٨١ م للمطالعة والبحث في ثلاث قاعات مطالعة كبرى إحداهما في المدرسة العادلية الكبرى ومخصصة للباحثين، وأخذت محفوظاتها بالتزايد عاماً إثر عام.

غير أن عدم وجود الشروط الفيزيائية اللازمة لديمومة المخطوطات والكتب، قد أدى إلى تراجع مستواها الفني، وكان أن اتخذت السلطات الرسمية قراراً بنقل كل المخطوطات والكتب النادرة من المكتبة الظاهرية إلى مكتبة الأسد الوطنية بعد افتتاحها عام ١٩٨٤، حيث لقيت عنايته فائقة ترميماً وتصنيفاً وفهرساً وحفظاً وإعادة، على حين بقيت الكتب الحديثة في المكتبة الظاهرية التي استمرت بأداء عملها حتى السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين.

ونظراً لاتتمام الملك الظاهر بيبرس إلى أراضيه كازاخستان اليوم، فقد اتفقت جمهوريتا سورية وكازاخستان عام ٢٠٠٧ على ترميم ضريحي الملك الظاهر وأبنه والمكتبة القائمة جوارهما، بتبرع سخى من كازاخستان، وبتاريخ ٢٠١٠/٢/١٤ صدر المرسوم التشريعي رقم ٢٠ المتضمن التصديق على الاتفاقية، التي تضم أيضاً ترميم ضريحي الفيلسوف الفارابي وإقامة مسرح ثقافي بجانبه في حي الشاغور في دمشق القديمة، وقد تم الانتهاء من أعمال الترميم والتثبيت كافة، ومن المتوقع افتتاح الموقعين قريباً، ما يشر بميزم من الألق الثقافي في دمشق خصوصاً وسورية عموماً.

وصلف مبرق ختلا، فإن ير نهزه رعدا
يزورك جنح داجية، بزير الشوق والكعدا
وأم الضاد قد منكث، ورب الضاد قد جلدنا
ومن الوقائع التي نشير إليها في السياق نفسه يجيب بالآ بجاني الحقيقة والمواقع، ففي مقابل الجحود راح التفاخر بالجواهري وعبقريته يمتد مديات كبيرة، فهو رمز ثقافي وطني شاخص طوال عقود، وكان ذلك ما يتباهى به الشاعر الكبير، ودفعه إلى المزيد من الإبداع والعتاء قصائد ومواقف وفلسفة، وما جاء في «البيت» عام ١٩٦٩ أكبر دليل على الوقوف ضد الجاحدين.

ما ضّر من أمنت دنيا بفكرته
أن ضيف صفر إلى أصفار من جحدوا
بقي علينا الآن أن نتوقف بالتأييد عند بعض وقائع مما كان يستشعره شاعرنا الكبير محمد مهدي الجواهري ما جاء في قصيدته «يا نديمي»، ففيها يذكر مواجهه من الجحود والجاحدين ليقول:

يا نديمي: لم يبق لي ما أرجي
غير «بيت» و«بيت» زرع بقصخر
ليت أني لبرير أو لزنج
أغنى شجونهم طول عمري
نصف قرن ما بين دق مضاعفاً
أترا في كنت انتدبت بفقر
وتجولت مثل أو لعمرو؟
لسنت أدري ولا المنجم يدري.